ارتفعت أسعار الأدوية فجأة:

إعترافات واحد من الذين يعاطون الدواء بغير داء!

أنيس منصور

أنا واحد من هؤلاء الذين تسببوا فى أن تدفع الدولة ملايين الجنيهات لشراء مواد الدواء. اعترف بذلك. وإن كان غيرى من الملايين ينكرون ذلك!

فأنا اتردد على الصيدليات وانظر فى الفترينة واشير إلى الطبيب: عاوز من ده.

وتمتد يد الطبيب دون أن يسألنى طبعا عن أسباب اختيارى لهذا الدواء بالذات. وأشير إلى دواء آخر وأقول: وثلاث علب من هذا.. وأريد علبتين من هذا.. وهذا يكفى اليوم وسوف أعود غدا. إن شاء الله لكى أكمل احتياجاتى من الأدوية!

وأنا كأى واحد مصرى اتعجل الشفاء. ولذلك فبدلا من أن آخذ قرصا واحدا ثلاث مرات يوميا. فأننى آخذ ثلاثة أقراص أربع مرات يوميا. وأشفى بعد يوم أو بعد يومين. وتظل الزجاجات التى اشتريتها ممتلئة بالأقراص. ولكنى اضعها إلى جوار عشرات من العلب والزجاجات والحقن التى اشتريتها قبل ذلك ولم أعد فى حاجة إليها. ولا أعرف ما الذى افعله بهذه الأدوية كلها.

وإذا سافرت إلى الخارج فإننى أجد الاغراء أعظم وأروع.. فالصيدليات جميلة والعقاقير ملونة.. وفى الصيدليات ترجد زجاجات العطور وترجد بعض عقاقير التخسيس والتنشيط والطبيبات المرحات.. كل شىء يغرى أى إنسان بأن يشترى أى دواء..

ولأن شراء الدواء وتعاطيه أصبح مرضا عندى. فإننى اشترى أى شىء بأى ثمن. أما فى أمريكا فان الصيدليات شىء فى نفس الوقت سوبر ماركت.. فأنت تدخل لتشترى بعض الأدوية مارا بالحلويات والمكتبات والكافتيريات وأجهزة التليفزيون والراديوهات والعقول الالكترونية..

فالاغراء لا شك أقوى وأعنف.. وأنا أعترف أننى لم أستطع أن أقاوم ولذلك فى كل مرة سافرت إلى أمريكا عدت بشنطتين: الكبيرة جدا للكتب والصغيرة للأدوية..

ولا أعرف إلا عندما أعود إلى القاهرة أن هذه الأدوية قد اشتريتها قبل ذلك. وأنها موجودة فى مصر وبأسعار أرخص. وتتكدس أدوية بره وأدوية جوه فى صناديق كثيرة وكبيرة أزدحمت بها غرفة مكتبى فى البيت، وأدراج مكتبى فى مجلة أكتوبر. ولم تقنعنى هذه الأدوية الكثيرة بأن أكف عن شراء الأدوية. لماذا؟

لأننى

- مثل ملايين المصريين قد أصبحنا مدمنين لشراء الأدوية ومدمنين لتعاطيها، ولاننا دون رخصة قانونية، قد جعلنا من أنفسنا أطباء نشخص لا نفسنا الداء ونشترى الدواء.

وكل هذا الذى أقول: يسجل علينا عدة أخطاء فادحة الثمن..

نحن أولا نشترى الدواء بلا مناسبة. ونتعاطاه بلا معرفة حقيقية إن كان ينفعنا أو لاينفعنا. ونتعاطاه بكميات كبيرة استعجالا للشفاء، وجهلا مؤكدا بخطورة هذه المواد الكيماوية على المعدة والقلب والأمعاء.. وفى نفس الوقت استخفافا بدور الاطباء. وربما كان معنا بعض الحق فى تصورنا لدور الطبيب فى الشفاء - وهذا رأيى الشخصى. وأنا لا أعبر عن ملايين المصريين الذين يزمنون بالأطباء ويلعنونهم من وراء ظهورهم. ولكنى أنا شخصيا لا آومن بقدرة الطبيب الخارقة على عمل شىء. لماذا؟

مثلا: أنا أشكو من المصران الغليظ. وأنا فى ذلك مثل ثلاثة أرباع الشعب المصرى. ومن اعراض المصران الغليظ أنه يوجع البطن - وأغلبية الناس يقولون يوجع القلب. وهم يقصدون وجع البطن. وهو يصيب الإنسان بضيق فى التنفس. ويصيبه بدوخة. فاذا جلست إلى مكتبى فإننى لا أستطيع أن أضغط ببطنى على المكتب. وإذا نمت لا أستطيع أن أتقلب على الجانب الأيمن أو الأيسر.. وأشعر فى نفس الوقت بأوجاع فى اماكن مختلفة من البطن.

وعندنا أمراض كثيرة لها نفس الأعراض. فاذا جاء الطبيب ووقف أمام المريض، أو جلس وروى له المريض هذه الاعراض وكان الطبيب يرى هذا المريض لاول مرة، فإنه لايعرف ما هو داء هذا المريض. وإذا كان الطبيب قد رأى هذا المريض قبل ذلك. ثم لاحظ أن المريض عصبى.. وأنه أصبح ضعيفا بعض الوقت. ثم طلب إليه أن يفتح فمه ويقول: آه.

ووجد لسانه أصفر مبيضا وعليه طفح.. ثم امتدت يد الطبيب إلى عين المريض وفتحها ووجد البياض مياله إلى الصفرة، ثم رأى أظافر المريض لم تعد وردية اللون.. ثم ضرب بالشاكوش على ركبة المريض فوجدها تقفز إلى الأمام..

فمن المؤكد أن الطبيب سوف يشخص اعراضا اخرى للمريض. ومعنى ذلك أنه سوف يعطيه عقاقير اخرى. وهذه العقاقير إذا أضيفت للعقاقير السابقة، وأحس المريض، وهذا ما يحدث غالبا، أن الطبيب لا يعرف شيئا، فمن المؤكد أن المريض سوف يزداد مرضا وتعبا.

وإن كان هذا لا يمنع أن الدفع واجب: أن يدفع زيارة الطبيب وثمن العقاقير أيضا..

وأنا أومن - وهذا رأى شخصى - أن الطبيب غالبا لا يعرف ما الذى يناسب المريض . لماذا ؟

لأن

الطبيب ليس عنده وقت لكى يرى ويسمع ويفهم . .

ولأن الطبيب لم يذق كل هذه الأدوية التى يصفها للمريض . لأنه شخصيا لم يصب بكل هذه الامراض وليس ضروريا . . أن يصاب بها . . وإنما الطبيب لديه معلومات عن فوائد الادوية ، قرأها ودرسها وسمعها من المرضى .

والمرضى مختلفون فى أوجاعهم ، اختلافهم فى اتساع عيونهم وحجم انوفهم ودرجة سخطهم على الداء والدواء ، والمرضى والأطباء !

اذن . . سوف يصف الطبيب دواء لداء آخر . .

وسوف يتعاطى المريض ما يحلو له هو من الدواء .

ويصاب بامراض وأوجاع مستمرة . وسوف يكون هو طبيبا لنفسه ، وأن يدفع ثمن هذه العادة السيئة . ويستمر المريض مريضا ، ويمضى فى تكديس الدواء فى بيته . .

ومن اعترافاتى هذه الاحظ أننا لكى نشترى قرص لمبرين واحدا أو قرص فحم واحدا أو قرص ملين واحدا ، لابد من شراء علبة كاملة أو زجاجة كاملة . وهذه غلطة . يجب أن نتداركها . .

فالعبوات الدوائية ، يجب أن تكون اصغر . أى يجب أن تباع العقاقير قرصا قرصا ، وحبة حبة . . بدلا من عشرات وعشرينات الاقراص ، نشتريها ونكدسها . ثم يدفعنا الخوف من أن تكون هذه الأدوية قد فسدت بسبب تكدسها ، أن نشتريها مرة أخرى . .

أرجو ألا ننسى أننا جميعا جهلاء بتركيب الدواء ، ولا نعرف أى هذه الأدوية يفسد بالتكدس وأيها لا يفسد !

ومن اعترافاتى هذه تنكشف غلطة خطيرة . وهى أن جميع الأدوية نشتريها بغير روشته . فمن حق أى طفل أن يذهب إلى أية صيدلية ويشير إلى أى دواء . . فاذا هو قد نزل من فوق واستقر فى يده : سواء كان الدواء ساما أو مبيدا حشريا أو مضاداً حيويا . مادام الزبون معه للوس . فالزبون على حق . . حتى الموت !

وليس فى العالم كله شىء مثل هذا : لا بد من روشتة الطبيب . . صحيح أن هذا مصدر دخل كبير للأطباء ، يضاف إلى الدخل الهائل الذى ينهال على الأطباء ، ولا تعرفه الضرائب ، ولكن من المؤكد أن التنديد بالروشتات يوفر الكثير للدولة التى تنفق عشرات الملايين على انتاج الدواء . . أو على دعم انتاج الدواء . .

فالمطلوب ليس أن نقلل من الانتاج ، ولكن أن نقلل من الاستهلاك . وبذلك نقلل من دعم الدولة لسفاهة المرضى الذين يبتلعون الدواء عن جهل وعن سوء ظن بالأطباء . ربما سوء ظنهم بالأطباء ، هو الشىء الوحيد الذى له ما يبرره . ولكن جهل المرضى يحتاج إلى نوعية وإلى تنبيه مستمر . .

فمن الممكن أن يصاب أى إنسان بقرحة المعدة وقرحة الاثنى عشر بسبب قرص أسبرين ابتلعه على الريق . . أو عشرات ابتلعها فى وقت واحد فى حالة يأس !

أذكر

أننى ذهبت إلى احدى الصيدليات فى أمريكا اشترى بعض زجاجات القطرة - أنا لا أشترى زجاجة واحدة من أى شىء . والسبب أنت تعرفه الآن . ورفض الصيدلى أن يبيع لى القطرة دون روشتة طبيب . ولم تقنعه اعترافاتى بأنى أحد المرافقين للرئيس السادات . وإنما ضحك الصيدلى الباكستانى ورحب بهذه الزيارة ، ولكنه أشار وراء ظهره إلى القانون الأمريكى المعلق على الحائط . .

وعدت إلى الصيدلية ومعى د . محمد عطيه أحد الأطباء المرافقين للرئيس السادات . وقدم د. عطيه جواز سفره . وحاول أن يكتب روشتة - ولكن الصيدلى اعتذر . لأنه من الضرورى أن يكون الطبيب الذى يكتب الروشتة مقيما فى أمريكا ونقابيا . ولكن حدثت المعجزة . فقد قال الصيدلى : إن لى ابن عم فى القاهرة يدرس الطب . .

فإذا بالدكتور محمد عطيه يقول له : عندى طالب باكستانى واحد اسمه كذا . .

وكأننا فى « ألف ليلة وليلة » لأن هذا الاسم الكريم : قد فتح لنا أبواب الصيدلية ليقول لنا الصيدلى الباكستانى : شبيك لبيك عبدك بين يديك !

وأخذت عشر زجاجات قطرة . . وخرجت .

مع أن هذه القطرة ليست سامة ، ولا مبيدا حشريا ولا مبيدا إنسانيا . . ولكنه القانون الذى يحمى المواطنين . من سفاهة المواطنين !

ثم إن بين المصريين من حمل هذه الأدوية المصرية الرخيصة وملأ بها حقائبه وبيعها فى البلاد العربية . . وهذا شىء عجيب !

أنه يبيع الأدوية الرخيصة ، فى البلاد القادرة على أن تشتريها غالية !

وبذلك يساهم دون أن يدرى فى أن يزداد الفقراء فقرا ، وأن يزداد الأغنياء غنى .

تماما : وهذا تشبيه مع الفارق الكبير جدا : كأن يقوم واحد مصرى بتهريب الرغيف إلى بلد آخر ليبيعه بعشرة قروش . . مع أن الرغيف المصرى ثمنه الحقيقى ٢٢ مليما . . فالدولة تدفع ١٧ مليما فى كل رغيف لكى يشتريه المواطن المصرى بخمسة مليمات فقط .

والأدوية كذلك . . وحدث أيضاً فى أزمة البن - فقد هربه تجار الشنطة وحجاج الشنطة إلى بلاد عربية كثيرة .

حدث ذلك بالنسبة للثوم . فثمن كيلو الثوم فى مصر لا يتجاوز عشرة قروش ، لكنه يباع فى بلاد عربية أخرى بستة جنيهات . والبن يباع عندنا ٢٦٠ قرشا ، ويباع فى بلاد عربية أخرى بثمانية جنيهات !

وكل ذلك يضاعف ما تنفقه الدولة من أجل التيسير على المواطنين المصريين : الذين يبتلعون الخبز والبصل والثوم والبن والعقاقير !

اذن . . الشىء الوحيد الذى يميز الإنسان عن الحيوان ، هو استخدام الإنسان للدواء والإسراف فى تناوله . .

ولا يزال الطبيب البيطرى أسعد الأطباء : لأنه يشخص الداء والدواء دون أن يجد نفسه فى حاجة إلى أن يسأل المريض عن الشىء الذى يتعبه . .

ومن هنا كانت تعاسة الإنسان أيضاً : فعلى الرغم من الذى نقوله للطبيب عن أوجاعنا فإن الطبيب يصف لنا دواء لمرض لا نشكو منه عادة . .

والنتيجة واحدة : أن الدواء فى الصيدلية . وأن الشفاء على الله . .

وليس هناك أمل كبير فى إصلاح هذه العلاقة بين المريض والطبيب ، ولكن الذى يمكن اصلاحه ، رحمة بالدولة وبأنفسنا ، هو أن نوجه الناس إلى خطورة تعاطى هذه الأدوية . . بنفس الحماس المضحك الذى نقوم به عندما نعلن عن السجائر ، وعن مضار التدخين . .

فكذلك يجب أن نعلن عن فوائد الأدوية ، وعن ضرر الاسراف فى تعاطيها . . ضررها بالنسبة للمريض أولا ، وميزانية الدولة ثانيا . .

وأنه يضع مصلحته الشخصية فوق كل اعتبارات قومية . وهذا المرض الأخير قد قام بعلاجه عدد لا يحصى من الأنبياء والزعماء . وأكثر هؤلاء الأنبياء والخلفاء الراشدين قد لقوا مصرعهم وبقى الداء مستشريا حتى يومنا هذا !

والله أعلم . .

فليست

هذه إلا اعترافات واحد من بين الملايين الذين يكلفون الدولة الملايين ، عن جهل بما يفعلون وعن إصرار بأن الذى يعملونه صحيح ، وهذا تأكيد لعمق هذا الجهل عندهم - ونحن أغلبية ، ولله الحمد ، فى مصر وفى البلاد العربية !

■■ ملحوظة : هناك أوجه شبه كثيرة بين المترددين على القبور وأضرحة أولياء الله وبين الذين يترددون على الصيدليات والعيادات - إنها مسألة نفسية !

اقول قولى هذا ، ورزقى على الله !

أنيس منصور